فوائد لغوية

الكلم الرحالة

Les mots arabes à travers les siècles.

هل خطر على بالك ان الكلم ترحل ؟ اي انها ترحل من بلد الى بلد ، ومن قوم الى قوم ، فتتزيا بازياء الامم التي تندمج فيها . كما ان الرحالة يتكلم بالسنة اهل الديار التي يرحل اليها ليقضي لباناته ؟

فان كان قد عن على بالك هـذا الامر ؛ فلقد طاب لك هذا البحث مرارا اذ رأيت العجب من هذه الاسفار التي يدهش لها المفكر . وان لم يمر بخاطرك فانا اعرض عليك كلمة تكون مثالا لتلك الاسفار التي تقوم بها امثلة تلك المفردات.

فهذه كلمة (الفتى (ومؤنثها (الفتاة) تراها جاست خلال البلاد ، وانتقلت الى السنة كثير من العباد . فان الفرنسيين والاسبانيين والبرتوغاليين يسمون الفتاة Puta والفتى Putus والايطاليون Putta وكلهم اتخذوها بمعنى الفتاة العربية اللفظ. اي الصبية، ثم بمعناها العربي الثاني اي الامة ولما كانت الامة معرضة لخطر الفساد لكثرة ما تخدم من انواع الناس في جميع الطبقات . صارت بمعنى البغي كما انتقلت كلمة « فتاة » نفسها وامة مرادفتها الى هذا المعنى .

فالفتيات على ماهو مشهور الاماء . وقد وردت الامة بمعنى البغي . كما اشار اليه ابن الاعرابي اذ قال : يقال للامة فرتنى . وكذلك فعل الفرنسيون فانهم سموا البغي Putain وكان اصل معناها الفتاة بالمعنى الحسن ، ثم حل بمعناها ما حل بمرادفتيها العربيتين . ولا يتلفظ اديب منهم بهذه الكلمة بل يشار اليها بحرفها الاول ان تكلما وان كتابة .

فهل اخذ العرب لفظتهم الفتى ومؤنثها الفتاة عن الغربيين ام الغربيون اخذوها عن العرب ؟ فالذي اراه انا ان الافرنج اخذوها عن العرب على ما يظهر لي .

قال لترre Littré في معجمه الفرنسي الكبير : تاريخ اللفظة يرتقي اورودها

في الفرنسية] الى القرن الثاني عشر (ثم ذكر عدة شواهد من كلام قدماء كتبتهم من قرن الى قرن ، ثم قال : واصلها كلمة Pute ثم ذكر وجودها في سائر اللغات فقال : باللغة البروفنسية والاسبانية Puta وبالايطالية Putta وباللاتينية Puta ومعناها الفتاة . كما ان Putus هو الفتى اي الشاب الى آخر ما قال . ولم يذكر ابدا ان اصلها عربي اوسامي .

على اني بحثت عما يقابل هذه اللفظة في اليونانية فوجدت Pais واذا اضيفت قالوا Paidos وفي هذه الكلمة اليونانية لغات عديدة بموجب قبائل اليونانيين الاقدمين ، على ما يرى نظيره في لساننا . اي ان الكلمة يتلفظ بها باختلاف وجيز يعرف باللغة اوباللغية . ونحن لانتعرض لمختلف اللغيات اليونانية اذ كلها ترجع الى هذا الاصل الفصيح .

وانت تعلم ان لغويي الافرنج يقولون ان اللغة اليونانية فرع من الهندية القديمة الفصحى ويسمونها الستسكريتية ، فهذه هي الام وتلك البنت والحق يقال ان الفتى بالهندية القديمة Pota-h ومعناها الفتي من الحيوان وبالزندية : فثره وبالفارسية القديمة : فثر ، ويلفظ بالراء لفظا مختلسا لايكاد يشعر به ، ومعناها الابن والولد . واذا تتبعت على هذا الوجه جميع اللغات الاوربية المتولدة من اليونانية او الهندية الفصحى ، لما خرجت عن حيز هذه المادة إلا بحروف العلة وهي مما لا يعتد به عند علماء اللغة .

واذا سألت بعض المتعصبين للغربيين ولو كانوا من ابناء العرب ، عن اصل الفتى امن اصل سامي ام من اصل آري ؟ او بعبارة اخرى : هل العرب اخذوا لفظتهم عن الاريين ، ام الاريون (وهم اجداد الهنود والفرس والافرنج) اخذوا لفظتهم عن العرب ؟ — قالوا لك حالا : العرب اخذوا لفظتهم عن الاريين ولا حاجة الى القاء هذا السؤال عينه على ابناء الغرب الاريين ، فانهم يقنعونك ان العرب تلقوا لفظتهم عن اجدادهم ، ولا يجوز الذهاب الى رأي آخر .

اما نحن فنخالف الجميع ، وان اقمنا اهل السماء والارض علينا ، اننا نقول ان الاريين اخذوا لفظتهم عن العرب او الساميين ، لاسباب منها :

١ — ان الفتى العربية تتصل بمواد اخرى عربية كثيرة ، ولاسيما بمادة ف ت (وما الشد في الاخر او تكرير الحرف الاخير إلا من باب اظهار الحرف

الاخير وتحقيقه بالتاء لئلا يمتزج بحرف آخر كالثاء او الطاء او الدال او بغيرها — وكذلك القول عن الناقص اي زيادة الالف في الاخر هو من هذا القبيل ايضا اي هو من باب تحقيق الحرف الاخير) فالفتى على الحقيقة وحيد العجاء او المقطع فهو (فت) لاغير . والعربية في الفاظها الواحدة المقطع على هذا الوجه كثيرة ؛ اكثر مما يرى في سائر الالفاظ . اذن العربية اقدم سائر اللغات المعروفة .

٢ — ان لمادة (فت) معاني تؤيد مشتقات الفتى . فالفت : دق الاشياء وكسرها بالاصابع . وما يفتت لا يكون إلا صغيرا .

وهناك فرع آخر هو فتأ الشيء (بالهمزة في الاخر) ومعناه كسره ايضا ؛ ثم هذه الهمزة تفخم فتصير هاء فتقول فتح . ومنها : فتح القناة فجرها ليجري الماء فيسقي الارض ؛ وما يفجر يصغر .

وقد تزاد الراء على آخر (فت) فتصير (فتر) يقال : فتر الشيء سكن بعد حدة وفلان فتر عن العمل : انكسرت حدته ولان بعد شدته . والحر انكسر . والماء : سكن حره . وفتر جسمه : لانت مفاصله وضعف . وترى في كل هذه المعاني اللين والانكسار وهو يرجع الى الصغر والتجزؤ ايضا .

ثم انتقل الى ما يلحق مادة (فت) من حروف تكسبها بها . فيكون عندك فتغ الشيء : اي وطئه حتى يتشدخ — وفتق الشيء شقه وخلاف رتقه — وفتك الرجل : ركب ما هم من الامور ودعت اليه النفس ؛ كما انه صير تلك الامور صغيرة لما به من شديد الهمة واسرها .

فهذه الفروع على تشعبها وتفننها تدلك على ان مادة (فت) عربية الوضع وليس لسائر اللغات ما يضاهيها . فلكون اللفظة وحيدة العجاء هو احسن دليل على قدمها . فهل يستطيع الغير ان ياتونا بمثل هذا البرهان القاطع ؟

اما كيف اخذ اليونان او الاريون من هنود وغيرهم هذه اللفظة عن العرب؟ او عن السلميين ؟ قلنا : هذا كان في العصور الواغلة في ظلمات القدم ؛ حينما كانت تلك الامم متجاورة مختلط حابلها بنابلها .

وعندنا من هذه الالفاظ شيء كثير ؛ تثبت قدم اللغة العربية او اللغات السامية وتفوقها عليها جميعها: تلك اللغة الضادية التي ضاهت بوضعها محاكاة الطبيعة على تشعب ما يسمع فيها من الاصوات المتعددة .

نعم ان رأينا لا يوافق كثيرين من ابناء الغرب وجما غفيرا من الشعوبية

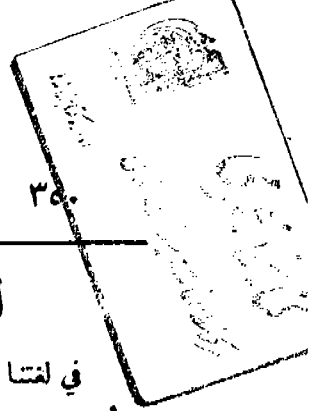

اصل علامات التأنيث في العربية

في لغتنا ثلاث علامات للتأنيث : الهاء والتاء كما في اديبة لمؤنث اديب وبنت لتأنيث الابن . والهمزة مثل صفراء لمؤنث اصفر . والالف كقولك الكبرى وانت تريد مؤنث الاكبر . فمن اين اتتنا هذه الحروف ؟

لاجرم ان الحروف الموجودة في لغتنا هي اثر كلم كانت تقوم مقامها. ثم استغني عنها استغناء من يكتفي بالاثر عن الاصل وبالصورة عن المثال . والذي بلغ اليه بحثنا ان هذه الحروف مقطوعة من كلمة واحدة هي «انثى» وهي تكتب بالارمية «انتى» بتاء مثناة وتلفظ «اتى» باسقاط النون . فهي في رأينا اصل الحروف المستعملة عندنا في التأنيث . فقولك اديبة اصلها اديب انثى، فاستغنوا بالتاء او بالهاء عن بقية اللفظ . والانثى لفظ يقع على من يعقل ممن ليس من الذكور، وعلى ما لا يعقل. ولهذا صح ان يقدر هذا اللفظ لاغيره . وقولنا «صفراء» فمعناه «اصفر انثى» قالوا في اول الامر : «اصفرآء» ثم كرهوا ان تكون همزتان في اللفظة الواحدة فحذفوا الاولى وابقوا الثانية التي في الاخر لتقابل الهاء والتاء في سائر الالفاظ. وكذا القول في «الكبرى» فان اصلها «الاكبرا» ثم تصرفوا فيها تصرفهم في الصفراء مثلا . ولنرجع الى لفظة انثى واصلها :

ان كنت واقفا على بعض اصول اللغات السامية تذكر ان ما كان يلفظ به العرب بالثاء اصله في اغلب الاحيان شين بالعبرية مثلا. والانثى يقابلها في هذه اللغة «اشى» التي هي تخفيف «انشى» وانشى هي مؤنث «انش» الذي معناه الانسان او الانس. والنسوة في لساننا جمع انس المحولة عن انشى. إلّا ان نحاتنا لما جهلوا الاصل قالوا ان النسوة وكذا النساء هما جمع مرأة والعاقل يأنف من ان يصدق هذه الخرافة والحق ما ذكرناه اي ان النساء والنسوة جمع كلمة مماتة عندنا وهي «انسة» ومعناها الانثى وهي محفوظة في قولهم انسانة مؤنث انسان على ما روي عن بعضهم بل محفوظة في كلمة « انثى » التي اصلها « انسى او انشى » على ما تقدم التصريح به .

لكننا نقيم من ادلتنا المتعددة . ومن اكوام الالفاظ المنيعة ما يقوم بوجههم جبلا لا يمكن هدمه او نسفه ؛ بل ازالته عن موضعه ولو قيد شعرة !